2006 04 14 - 0013 - 2

السفير
٢٠٠٦/٤/١٤

صورة وتعليق

لمَ غاب من «يمتلك السلاح وقرار السلم والقتال»؟

«استحقاق» ذكرى ١٣ نيسان: حفلة تلميع «الحربيين»

ليس غريباً أن يسلك برنامج «الاستحقاق» مع الزميل علي حماده، على شاشة «المستقبل»، طريق «الأكثرية» في مناسبة ذكرى اندلاع الحرب. لعل الأمر ليس خياراً، أو انحيازاً، سياسياً وحسب، بل كأنه تعميم خطاب وإبراز «نجوم» وتكريس طبقة سياسية أبدعت في الحرب وتنشط لتبييض صورتها في السلم، كما غمز عميد «النهار» الزميل غسان تويني.

فالحلقة التي رفعت شعار «تنذكر ما تنعاد» لم تكرر الموعظة الأشبه بالوصفة الطبية لتجنب إعادة الحرب وحسب، بل لمّعت الوجوه، ولا شك تساهم، سواء خططت لذلك أم لا، لتكريس قاعدة التوبة وتلميع الزعماء من خلال تكرارهم بعض التمائم المطعمة بعبارات الندامة ووعظ «الآخرين» بالابتعاد عن الحرب ورمي السلاح... الخ.

المفارقة أن هذا الكلام لا ينطبق على ضيف الحلقة في الاستوديو، أسعد الشفتري مسؤول الأمن السابق في القوات اللبنانية، على الرغم من أنه استضيف بناء على رسالة النقد الذاتي والاعتذار من «ضحاياه» على مشاركته في الحرب، التي نشرها في شباط العام ٢٠٠٠. ولا ينطبق الكلام ذاك على القائد العسكري في حركة «أمل» عقل حمية. فهذان «المقاتلان» ليسا من الطبقة السياسية المتجددة... بل ينطبق على عدد لا بأس به من الضيوف الآخرين من قادة الحرب المستمرين في الزعامة واحتلال المشهد السياسي.

لعل البرنامج لم يشأ ذلك، لكنه سقط في هذه الحفرة. والسبب أنه اشتغل بعقل سياسي موجه، لا سيما في القسم المخصص لأيدي الحرب ووجوهها، باستثناء الشفتري وحمية. هذا ما جعل الحلقة، مثلاً، «تخوف» من الحرب أكثر مما تبحث وتتحرى أسباب عودتها، التي تطرق إلى بعضها الدكتور زهير حطب في المقابلة القصيرة التي أجريت معه، حين لفت إلى التغييرات الديموغرافية التي حصلت في البلد، وعنوانها ولادة التكتلات المذهبية الصافية التي تعيش جنباً إلى جنب مُنهيةً زمن التعايش والاختلاط.

لم تفتعل الحلقة التخويف أو التهويل من الحرب، فكثيرون من اللبنانيين يشعرون بأن ما يمر به البلد «يشبه ما حصل في ١٣ نيسان ١٩٧٥ وقبله»، كما ورد على لسان القانوني حسن الرفاعي الذي شارك في الحلقة عبر الهاتف. لكن الحلقة «القلقة» التي شاءت أن تغلب «لغة العقل والقلب والإنسان» فاستضافت الشفتري وركزت مع ضيوفها سمير جعجع وأمين الجميل ومروان حمادة وعقل حمية على خلاصاتهم والعبر التي خرجوا بها من الحرب ومواقفهم الحالية، فاتها غياب «حزب الله» عن قائمة الضيوف. وهذا ليس خطأ بروتوكولياً وحسب، على الرغم من احتمال أن يكون القيمون على البرنامج قد دعوا «المقاومة» إلى المشاركة، واحتمال أن تكون هي من اعتذر على اعتبار «أنها لم تشارك في الحرب»، بحسب قادتها. فغياب «حزب الله» الذي «يملك السلاح وقرار الحرب والسلم» كما تكرر الأكثرية، ولّد أثناء الحلقة جو «استغابة» وربى اتهاماً ضمنياً يخاطب العقل الباطن. وتجلى ذلك في مداخلة أمين الجميل (عُرضت في النصف الأول من الحلقة) الذي اعتبر وجود السلاح في أيدي تنظيمات وأحزاب دون غيرها يهدد السلم ويعيق بناء الدولة، رافضاً الاكتفاء بالنيات الحسنة والطمأنة الكلامية بأن السلاح ذاك لن يوجه إلى اللبنانيين.

ربما لو تمثل حزب الله في الحلقة لكان تحول متهماً أو نعرته المسلة الموجودة على خاصرته، لكنه كان وُوجه بمجموعة أسئلة لا بد له أن يجيب عنها. إلى ذلك، فإن غيابه أبعد الحلقة ظاهراً من السياسة الراهنة وجعلها أمسية مواعظ ونيات ومهرجان تبييض وجوه وأيد، علماً بأنها قد بينت الحاجة إلى ما هو أبعد وأكثر شفافية ومساءلة.

حسان الزين